مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 11 عدد: 3 السنة: 2022
ص: 54 - 73 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

# الهجرة وسردية التخييل في رواية " أناشيد الملح "– سيرة حراگ– للعربي رمضاني.

# Migration and the narrative of making things imaginary in the novel "Anasheed al-Milh" –The History of Hirak– by Larbi Ramadani.

جنات شنيتي[1] / عقيلة بالي محجوبي[2] *
**Janaat Shaniti[1] / Akila Bali Mahjoubi[2]**
مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب.
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2( الجزائر).
Université Mohamed Lamine Setif 2 (Alger).
djannet29@hotmail.com[1] / bm.akila@yahoo.fr[2]

| تاريخ الإرسال: 2022/02/25 | تاريخ القبول: 2022/03/26 | تاريخ النشر: 2022/06/02 |
|---|---|---|

## ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة البحثية الموسومة بـ **الهجرة وسردية التخييل في رواية أناشيد الملح –سيرة حراگ– للعربي رمضاني** لمعاينة تيمة الهجرة في الرواية الجزائرية المعاصرة، التي من شأنها توثيق التاريخ والدفاع عن الهويات والتغلب على هاجس الانتماء، بطرق فنية بعيدة عن رتابة النظام البلاغي، عن طريق فهم الذات المهاجرة الثائرة على نفسها، وعلى واقع يعج بالتناقضات والاضطرابات، لذلك حاولت هذه الورقة البحثية أن تتناول هذا الخطاب تحليلا وتأويلا، لكشف عملية التشكيل السردي للذات من خلال بنى ثقافية ترتكز على بناء سرديات الحياة، ولاستجلاء ضرورة تحويل الكتابة إلى نضال مستمر، من خلاله التعبير عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، باستقصاء عوالم الهوية وانشطراتها في فضاءات الهجرة، وما يتخللها من تجاذبات الأنا والآخر ضمن متلازمة الانفتاح والإقصاء.

**الكلمات المفتاح** : الهجرة، التخييل، الذات، الآخر، الانفتاح، الإقصاء.

## Abstract :

This research study, marked by migration and the narrative of making things imaginary in the novel "Anasheed al-Milh" -The History of Hirak- by Larbi Ramadani, seeks to examine the theme of immigration in the contemporary Algerian novel, that would document history, defend identities, and overcome affiliation obsession. This happens in artistic ways far from the monotonous rhetorical system,

* جنات شنيتي: djannet29@hotmail.com

by understanding the immigrant self, that is rebel against itself and against a reality full of contradictions and upheavals .To this end, this paper tried to address this discourse through analysis and interpretation, to uncover the process of self-formation narrative through cultural structures that are based on the construction of life narratives, and to clarify the necessity of transforming writing into a continuous struggle, through which the expression of social, political, and cultural conditions is made possible. This is by investigating the worlds of identity and its splitting in the spaces of migration, accompanied by the intertwining of the ego and the other within the syndrome of openness and exclusion.

Keywords: migration, making things imaginary, self, other, openness, exclusion,.

## أولا/ مهاد نظري

تُحيلنا مسرُودات الواقع أنّ موضوعة الهجرة شكلت نهجًا شدِيد الأهمية في إثارة قضايا اللجوء وتصوير أزمَات ومعاناة المهَاجرين للبحث عن حلُول إنسانية لهم، مستخدِمة في ذلك أشكالا أدبية مختلفة كالرواية التي برعت في تخييل الواقع، فدمجت الماضي بالحاضر لتتماهى ظاهرة الهجرة مع عملية الإبداع بواسطة جيل كبير من الكتاب الذين وُلدوا ونشأوا في ظل المحنة العربية/الجزائرية والإنسانية، فالظروف التاريخية ساهمت في انتشار الهجرة والارتحالات القسرية (المنفى)، التي هي في الأساس وليدة الاديولوجيات الكولونيالية الإقصائية والتعسفية، التي استمرت حكوماتنا في تطبيقها بعد الاستقلال فأدى ذلك لانتشار الحروب الأهلية والأممية، وتطور الأزمات الاقتصادية وما صاحبها من تدنٍّ المستوى الاجتماعي، كلّ تلك النتائج خلَّفت ذَوات مُنشطرة متصدعة، تعاني الاغتراب النفسي والاجتماعي داخل أوطانها التي تأْبَّى الاعتراف بوجودها، فتتطلع بفعل الهجرة إلى محاولة لملمة شتاتها بالاندماج في عوالم جديدة والانفتاح على الآخر، بحثا عن "الفردوس المفقود" بِتَبنّي هَويات ثقافية خارج الحدود الجغرافية المنتمي إليها.

وقد التقط نسق ظاهرة الهجرة المنجز الروائي المعاصر، محاولا إبراز معاناة المهاجرين جرَّاء ما يواجهون من ضغوط مختلفة، فحاول "كشف ما يعانيه المهاجر من ضغوط نفسية واجتماعية وحضارية، وشعور مثقل بالاغتراب والحنين وإحساس بالضياع، عاملا على استغلال ما يتيحه السرد من فضاء أوسع للتعبير وحفر في تجاعيد الزمن، وسبر لأغوار الواقع والذات، وتوظيف لأداة اللغوية المجازية، وما تتيحه من مستويات للقراءة، من أجل مقاربة فكرة الهوية أو البحث عن الذات من جهة، ومن جهة أخرى كشف المحددات التي تحد

ثنائية الأنا/ الآخر."[1]

فالرواية تكشف عملية التشكُّل السردي للذات، لقدرتها على استيعاب مخيال الجماعات الإنسانية وتفصيلها الأحداث الواقعية، إذ تحاكي تفاصيل اليومي المعيش وأحداثه الطارئة، بإعادة تفعيلها ضمن نسق تخييلي حاملة معها عطبا وتشوهات الواقع، مُختفية بتصوير تجارب وُجودِية تعَبر عن أزمة الإنسان المعاصر الذي يعيش بين فكي الصراع السياسي والاقتصادي، وإحساسه الدائم بالضياع دفع به إلى قرار الهجرة بحثا عن حلول إنسانية تحفظ له ذاتَه وهَويته إذ "تستثمر[الرواية] تجربة التنقل والترحال والهجرة والنزوح عبر الأمكنة والثقافات تمثل مصدرا غنيا وشهادات عميقة، ليس فقط عن تجارب الأفراد، وإنّما كذلك عن التجربة الجماعية حيث يتوهج النفس الإنساني ويتركز حينما تصدر الكتابة عن معاناة الإنسان وشعوره بالاغتراب والوحدة والاقتلاع"[2] فالذات المهاجرة أو المنفية يتعرض وجودها إلى التمزق والاضطراب، والعجز التام في التلاؤم مع الأوضاع السائدة؛ اضطراب يُسببه غموض المستقبل ورهانات الحاضر القاهرة، وانعدام الحلول الاقتصادية والسياسية والنفسية التي تحفز المهاجرين العدول عن قرار الهجرة.

ولأن الحديث عن سرديات الهجرة يستدعي بالضرورة الإشارة إلى مختلف التكتلات السياسية / الثقافية المعاصرة الناجمة عن علاقات الشرق/الغرب، التي أدت إلى تَفتُّق إشكالات تشظي/الهوية، وحوار الحضارتين والصراع بينهما وما يتخللهما من تجاذبات الأنا /الآخر، وثنائية الذات /المهاجر ومعاينة ضدية المثقف المهاجر/السلطة في ظل التعددية الثقافية، والتغيرات الاجتماعية التي أثارت استشكالات الماهية والكينونة لكشف تداعيات المرحلة المعاصرة والوطن المتخيل ضمن متلازمة الانفتاح والإقصاء. إذ "تُسائل الرواية الجزائرية كثيرا من الثيمات الهامة والأساسية المرتبطة بخطابات راهنة تتوزع بين السياسي والثقافي والحضاري والاجتماعي، أسهمت في تشكل ما يسمى بخطاب المتخيل النقيض، أو الخطاب الأدبي المضاد الذي صاغه الهامش من أجل المقاومة الثقافية ضد المسلمات التي خلفتها السرديات الكبرى المكرسة من قبل الخطاب الغربي لمدة طويلة "[3] فالكتابة ملاذ المهاجرين/المنفيين المسلوبة حريتهم المغتربين عن أوطانهم، يحاولون من خلالها الحفاظ على تاريخهم الثقافي، ولملمة شتات ذواتهم "إنّها نوع من الكتابة المختلفة التي ترتكز على الدهليز بدل السطح [.و..] لتاريخ الفرد العادي دلالته ودراميته مثله مثل تاريخ العظماء فمن خلال سيرتهم نتمكن من سبر أعمق للتاريخ الإنساني"[4].

فالكتابة المتعلقة بأدب الهجرة ترغب دوما؛ سَرد ذَوات شخصياتها كما يجب أنّ تكون عليه، لا كما يمثلها الآخر في سردياته المختلفة.

وفي هذا الصدد يستدعي الحديث عن المنجز السردي الجزائري المعاصر الذي اتَّخذ من الرواية مسرحا لقصص الهجرة المختلفة، وتجارب المهاجرين المتعددة، فهناك كتاب جزائريين خبروا تجربة الهجرة في مجتمعنا المعاصر إذ تجرعوا مرارته وآلامه وإكراهاته، مما أدى إلى حراك إبداعي اتَّخذ من تيمة الهجرة موضوعا مقرونا بقلق الهوية وتصدعاتها وعلاقة الأنا بالآخر، لكشف تداعيات المرحلة المعاصرة متجاوزا التوصيف إلى عرض وتحليل عمق الظاهرة. ومن المدونات التي كتبت عن موضوع الهجرة رواية "**أناشيد الملح**" للروائي الجزائري "**العربي رمضاني**"[5] غير أن الجديد الملموس في هذه المدونة أنّ الكاتب هو من رصد وعاش التجربة شخصيا، فإذا كانت أغلب نصوص سرديات الهجرة قد تقيّدت في حبكتها على شخصيات ورقية في- الغالب الأعم- وعلى أحداث تاريخية يطبعها طابع التخيّيل فإنّ رواية "أناشيد الملح" سيرة حراگ، تقيد الكاتب في عمله على وصف واقعه وظروف هجرته مع باقي المهاجرين الذين صادفهم، فرصد أحداث واقعية معاشة، وسط موج البحر أو في مختلف البلدان التي هاجر إليها، دون التفريط في فنية التخييل الروائي الذي تلتمسه في طريقة سرد الكاتب، الذي دفع بالأساليب الإبداعية إلى حيز المعيشة ومعطيات الحياة لملامسة الهم الإنساني اليومي (داخل الوطن وخارجه) برصد حيثيات مختلف الأوضاع ومحاولة تجاوزها وتحسينها.

فتهدف هذه الدراسة إلى محاولة كشف عملية التشكيل السردي للذات المهاجرة، من خلال بنى ثقافية ترتكز على بناء سرديات الحياة في سيرة حـراق جزائري مثقف ثائر على واقع يعج بالتناقضات والاضطرابات والحروب، لذلك حاولت هذه الورقة البحثية أنّ تتناول هذا الخطاب تحليلا وتأويلا، لاستجلاء ضرورة تحويل الكتابة إلى نضال مستمر، من خلاله التعبير عن الأوضاع الاجتماعية، السياسية، والثقافية باستقصاء عوالم الذات/ وانشطاراتها في فضاءات الهجرة، وما يتخللها من تجاذبات الأنا والآخر ضمن متلازمة الانفتاح والإقصاء.

وهذا ما يدفعنا للتساؤل : كيف حول العربي رمضاني تجربته الحياتية إلى كتابة إبداعية جمالية؟ وكيف تشكلت الذات المهاجرة في وطن الآخر في ظل الهجنة والاختلاف الثقافي والصراع السياسي؟ ما هي الاستراتيجيات التي اتبعها الآخر بتقويض بناء ذات مهاجرة حرة، تتجاوز أفق الانتماءات العرقية الضيقة واعتناق الهويات الإنسانية الرحبة؟ وكيف تجلت عوالم العيّش المشترك وتكريس ثقافة الاختلاف، لتلافي فظاعات التهميش والاغتراب؟

وإلى ذلك، فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى اختيار فرضياتها، عبر هيكلها العام الذي يتوزع على محاور بحثية، ارتهنت لمنطق فرضه النص المدروس، مستندة إلى مقولات النقد الثقافي الهجينة كاستراتيجية قرائية من خلال مسارين توجيهيين هما:

**أولا: متاهة الهجرة وارتباكات الذات.**

**ثانيا:تمثلات المهاجر/المهمش والآخر/المركز.**

**ثانيا/ في التطبيق النقدي**

## 1- متاهة الهجرة وارتباكات الذات

عقب ظروف الهجرة والاغتراب اللذين عانَى منهما الروائي، كانت دافعا قويا لكتابة نشيد بحر طويل يحاكي أسباب الهجرة ومعاناة المهاجرين الذين اصطلحت عليهم الحكومات تسمية "المهاجرين غير الشرعيين" أو "الحراقة"، أراد من خلاله توثيق تجربته وما عاشه في الضفة الأخرى من أحداث، فمسيرة "حـراق" كُتبَت للبَوح عن آلام الاغتراب والتهميش التي أحاطت بكينونة كل مهاجر، دفعته ظروف عديدة لترك وطنه والفرار أو اللجوء لأوروبا بحثا عن الوطن والسلام.

الكاتب هو الراوي في أناشيد الملح، وهو أيضا أحد المهاجرين الذين خَبروا مُعاناة الهجرة وظروفها فربطته علاقات مع مهاجرين من مختلف ولايات الوطن، والبلدان الإفريقية والعربية، فنقل لنا أناشيد بحر جمعتهم، وأهدافا حَلِموا في تحقيقها، وواقع مؤلم كُتب بكل صدق وشفافية، لتوسيع إطار صورة المهاجر وعذاباته ومآسيه، فالروائي أراد أن يكشف وجها آخر للإنسانية المتشظية التي نعيشها، فيرسم في ذهن المتلقي(القارئ) واقع الهجرة، وينحت في مخيلته حياة المهاجرين الذين هربوا من زيف أوطانهم أو بقايا وطنهم، إذ ترتسم في "وجوه أطفال العراق وملامحهم التي اجتمع فيها النعاس والتعب وعبارات تكاد تصرخ من أرواحهم التائهة، ولعونة أوطان الجرمة والفساد والتخلف أوطان الزور والتزوير ومصادرة حياة الإنسان."[6]

اعتمد الراوي سرد يومياته ويوميات المهاجرين ومعاناتهم؛ فهناك من لقي حتفه في البحر وهناك من نجا، وهناك من أعيد للوطن وسُجن، وكل تلك الأحداث أراد من خلالها تصوير رحلة الذات المتشظية /المغامرة، للفوز بالعيش الرغد والسلام الضائع في سائر الأوطان العربية والإفريقية، وفضح مختلف الأنظمة والحكومات العالمية لما تقوم به من تجاوزات في حق المهاجرين، الذين سكنهم هاجس البحث عن ومضات السلم والوطن للتخلص من بقايا الأوطان، فالذات المهاجرة غالبا ما تتحلى وتتصف بالانفتاح والمغامرة محاولة التخلص من انتسابها البيولوجي حيث" تنتقل الذات التي تحررت من وهم بقائها البيولوجي إلى فائض

نشاط يحملها على العمل من أجل الحضور"[7] والبطل الراوي تخلص من انتماءه البيولوجي عندما قرر الرحيل إلى تركيا نقطة انطلاقه إلى أوروبا، فتتجلى لك عوالم التشظي على مستوى ذاته الحالمة التي تبحث عن الحقيقة والحرية، وتحاول إثبات حضورها من خلال قرارها بالمغامرة وقد عزز هذا القرار إعجابه بالآخر في زيارته مقر القنصلية لطلب" الفيزا " وإعجابه برؤية "وجوها، لم أتعود عليها، وجدت معاملة حسنة، غرزت فكرة التحرر من هذا الجحيم الذي أدت ناره بعد إخفاقي في الحصول على تأشيرة تتيح لي سفرا محترما."[8]

ففكرة الهجرة؛ فكرة مضمرة في وعيه النائم وأيقظتها الظروف التي تزداد سوء في الوطن إذ "يشكل الوعي النائم خطرا أكبر من الوعي الحاضر- في حال استيقاظه وشعوره بالخطر. فالوعي النائم نائم، لأنّه لا حاجة إليه الآن. ولأنه قار في قعر المستنقع، فإنه بخروجه إلى السطح يصطحب معه الرائحة الدفينة للمستنقع"[9] فاتخاذ قرار الهجرة لم يكن اعتباطيا ولا فجائيا متسرعا؛ بل إنْبثق من وعيه النائم ونتيجة "لتراكمات عديدة، وضياع في اللاجدوى والفراغ وانتظار اللاشيء بطالة مقننة. يعززها فساد منتشر وغياب لأدنى معالم الحياة المحترمة.هكذا تبدو الأوطان في أعين أبنائها الذين تقابلهم بالتجاهل، مجرد قبور مظلمة"[10]

الذات المنفتحة تسعى دوما للمغامرة، فتحمل فكرة ضرورة التحرر من قواعد الانتماء، والبحث عن حريتها، والروائي يحسب أنَّ انتماءه لوطن الوهم لا طائل منه، فيبحث عن كل ما يستطيع إعادة بعث الحياة بداخله حتى وإنّ كان على حساب الرقعة الجغرافية التي غدت أكبر حاجز أمام أحلامه، وجحيم يريد التخلص منه فتلك "الجغرافيا ظلمتني وألقت بي في ربوعها الخيالية من الفرح،كيف مرت ثلاثة عقود ولم أشعر فيها بالانتماء؟ أعيش فيها مرغما وأموت كل يوم، اغترابا وحزنا متطلعا إلى ساعة الحرية."[11].

إنّ قرار الهجرة والتفكير فيها يدفع الذات المهاجرة، خوض حياة المغامرة واجتياز عراقيل واختبارات عديدة، والكاتب بدأ رحلته في البحث عن ذات جديدة قبل الخروج من وطنه، فالخروج منه هو أول عتبات النجاح للوصول إلى الضفة الأخرى التي تملك أوطانا وتحافظ على الحريات وتفتح أبواب النجاح أمام من يريد ذلك. يقول:"كبرت ووقعت في الفخ لم أجد الوطن الذي عرفته وتعرفت إليه في المدرسة، وسمعت عنه في الإذاعة والتلفزيون لم أجد الأمان والأماني. بل وجدت نفسي في سجن واسع اسمه الوطن" [12]. ولعل مرد هذا الشعور الذي سكن روحه سَببه الظروف السياسية، والأمنية التي مرت على الجزائر، فأفقدتها السلم والأمن، كما هو أيضا شعور عميق في محاولة بناء علاقات جديدة مع الآخر؛ الآخر الوطن/ والآخر الذات الأوروبية بدون التفكير في الصدمات الثقافية التي قد يتعرض لها.

ولو تأملنا في تصريحاته ومكاشفاته التي حضرت بكثرة في نصه الروائي، لوجدنا أنّ ذاته "متفتحة متعددة الظهور، ترفض حاضرها دائما، ملولة من عالمها الرتيب، العالم ليس عالمها الفردي بل العالم المحيط العالم الذي تلقي بالأئمة عليه. ويعني تأففها من حاضرها أنها مشدودة دائما إلى الآتي."[13]

وعلى إثر ذلك، نلتمس انفتاح الشخصية الروائية البطلة، وقدرتها على قلب رداءة الحياة إلى جودة، وأنّ تُغيّر ما كان عبئا ثقيلا لحياة جديدة، ورغبتة الدائمة في تصور القادم وشحن رغبة التغيير والتجديد والنجاح.

لم تكن هذه الهجرة، هجرة مكان ورقعة جغرافية فقط بل كانت؛ تغيير لفضاء ثقافي قديم بآخر جديد متمايز عن الأول في (كليته) أو (بعضه)، وهذا ما يعني أن هذه الذات تكون على تماس مع الآخر المختلف عرقيا وثقافيا وايدولوجيا، وهذا التَماس أضاف تعديل في بؤرة تفكيره، إذ عزم على تجاوز حدود الانغلاق وتخطي أوهام الانتماءات والهويات النقية، والانخراط في حياة جديدة، فمِن المنطقي و"أنت تهاجر تقطع علاقتك بالأرض والناس، وتبحث لك عن أرض أخرى وناس آخرين، وتمحو ذاكرة وتشيد أخرى لها[...] الهجرة رؤية إنسانية للعالم وإقرار بأن مبدأ الحياة ومنتهاها الحركة"[14] المجازفة التي يُقدم عليها المهاجر في قطع علاقته مع الوطن والأهل، وإقامة قطيعة مع الذاكرة، وتوهمه بالحصول على المرغوب من الأحلام، والتفريط في الموجود الذي يعزز الانتماء، وأولويات الراهن وتغييراته فرضت عليه تغييرا في موقع الثقافة، إذا ما استعرنا مفهوم **"هومي بابا"**، فالموجود عنده يتمثل في العاصمة التي وصفها "شاهبة جدا ومبعثرة مع أكوام فوضى"[15] فقرر القطيعة بقوله: "وداعا أمي وداعا [...]أيها الشهداء النبلاء [...] وداعا أيها العدم المنتشر[...] وداعا أيها الوطن المكدس في دهاليز النسيان [...] وداعا أيها اليأس"[16] فيغير موقِعه الثقافي فورَ وصوله إلى تركيا، فأحس شعور اقتحم قلبه "شعور لذيذ بالانعتاق وأنا أسير في أزقتها الفاتنة، خيل إلي أنني صرت حرّا، ولدت من جديد وقد غمرتني متعة الاكتشاف"[17] فبداية الرحلة كانت مليئة بالأمل والانفتاح والشعور بالانفراج، فأحس نفسه مهيأ للتآلف مع النمط الثقافي الجديد والفضاء الجديد، تركيا التي فَتنته هي نقطة بداية رحلة طويلة كشفت له مدى صغر وطنه، فاسطنبول أكدت له أن حياته التي عاشها "كانت مجرد كذبة كبيرة، ما أصغرك يا وطني، وما أكبر خيبتي فيك!" [18].

إنّ تأفف "الروائي" من وطنه والسلطة الحاكمة فيه لا يمكن اعتباره تأفف فردي، جزئي متعلق بذاته فقط؛ بل هو "وجودي ورفض كلي، رفض ثوري، تأفف لا يطيق أية سلطة قامعة "[19] فشعر أنّ ثمة خواء داخلي يستطيع ملأه بأشياء جديدة حرم منها في وطنه، لذا رفض كل ما يفسد ذلك الشعور الذي

سكنه وعبر عن رفضه لأي سلطة تقف ضد قراره، حتى وإنّ كانت سلطة الأهل "فلم يَعد هناك ما يستفز الروح يستفز الذاكرة،مشاعر باردة لا يوقظها شيء"[20].

يتعرض المهاجر–في أغلب النصوص السردية– إلى شرخ في كينونته لعدم القدرة على مسايرة الواقع الجديد، وصعوبة الانفتاح على العالم الثقافي الذي هاجر إليه، فتبدأ رحلة البحث عن الذات عند وصوله إلى الوطن الجديد، وغالبا ما يصاب بارتباك شديد على مستوى الشعور لاختلاف البيئة الاجتماعية والثقافية، أمّا بطل الرواية فهجرته كانت مختلفة، إذ واجه نوعا من الصراع الهويَاتي وهو في الجزائر جراء تراكم حوادث وأسباب عديدة بعَثت على فقدانه قدرة التحمل أكثر، ومرد إصراره على قرار الهجرة؛ عزمه على إعادة تشكيل ذات ثقافية / حرة / غير مستَعمَرة فـ "نحن أبناء الجوع الأبدي..وضحايا الهمجيات الدامية ,التي لوثت فكرة الطفولة والحياة بدواخلنا، نحن الذين كبرنا وسط برك الدم..نشتهي ومضة فرح..نحن أبناء تلك العشرية القبيحة الملوثة بالدخان الأسود واللحى الكريهة"[21] يؤدي غياب الأمن في الوطن إلى حدوث تشوهات وشروخ في كينونة الفرد، تُضعف فرص المصالحة مع ذاته ومع أي شيء يتعلق بذلك الوطن، فيلجأ للبحث عن القيم والسلام والأمن في أرض أخرى وثقافة مغايرة وانتماء اجتماعي جديد، ليعوض ما سُلب منه، إذ"كبرنا فجأة بلا طفولة بلا ألعاب أو فرح، كبرنا مع دعوات منع الموسيقى والتلفاز..عشرية الصراخ والدموع والدماء تركت ثقوبا سوداء في الروح"[22] فالعشرية السوداء وهمجية الإرهاب، من الظروف التي زادته إصرارا على الهجرة، لنتائجها التي أدت إلى اختلال المستوى الأمني والاجتماعي والثقافي للجزائر، فنجده يصف هذه الأوضاع ويذّكرها في هجرته كلما أبهرته الدول الأوروبية بتقدمها؛ تمويها منه لمشروعية " **الحرقة**".

عاش الكاتب صراعا داخليا طويلا قبل هجرته سبب له شرخاً في هويته، فكثير ما طرح تساؤلات من أنا؟ وما هو الوطن؟ فالذات عنده هي الباث والمتلقي، وهي المفكرة السائلة والمجيبة في آن واحد، بسبب غياب مستقبلات خارجية، تُعينه في الإجابة عن تساؤلاته لأن "المهاجر يبحث عن هويته في ذاته وفي قدراته الشخصية التي تساعده على تخيل العالم في صورته الجديدة"[23] فالهجرة أتاحت فرصة الانفلات من وَلاء المواطنة والانتمَاء الجغرافي والثقافي والفكري والاجتماعي لبطل الرواية وباقي المهاجرين وهذا التمردُ كان مؤسسًا عن وعْي"أن الأوطان [...] مؤقتة وعابرة على الدوام، بل الحدود والحواجز التي تسيجنا بأمان المنطقة المألوفة، يمكن أن تغدو سجونا ومعازل"[24].

بيّنَت رواية" أناشيد الملح" أزمة الهجرة وفضح الواقع المتأزم بصراعاته الكثيرة؛ لذوات فاعلة تمثل حياة شخصيات واقعية تعرضت لاستلاب ثقافي وفكري وعلى ذلك؛ تجد الشخصية الساردة شخصية مثقفة واعية، منفتحة، متفاعلة، نقلت أحداثا واقعية لتكرس مفهوم **السرد من أجل البقاء** على حدّ تعبير "ادوارد سعيد" فسيرة حراگ **سرد نضالي** أراد الكاتب من خلاله، رسم معالم شخصية تكافح لبناء ذات سليمة تحاول وضع تعريف لماهيتها خارج براثن التخلف والهزيمة الثقافية، فيقرّر الهجرة "وهو لا يملك أي مشروع روحي آخر لنفسه غير إنسانيته"[25] هي السبيل الوحيد الذي يحقق له الانفتاح على العالم في صورته الجديدة، كما يريدها هو، لا كما تفرضها ظروف الوطن المكدس بالأحزان كما وصفه في الرواية.

فالهجرة وطلب اللجوء يُعدّان "مشروع إنساني" ويراد به التخلص من أعباء الماضي واستبداد الحكومات والفرار من الحروب وتحسين الأوضاع المادية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، في ظل أزمات القرن العشرين" فهو القرن الذي ساد فيه الإحساس بالغربة والقلق والرغبة في الخروج عن التقاليد وإرث العائلة"[26]

.

سَيّطرَ شعور الغربة النفسية، على الكاتب ولم يجد حلا غير الهروب من هذا الجحيم – الوطن– وطلب اللجوء في أوروبا و"اللاجئ بلا وطن ولذلك لا يعود إن هذا اللاجئ من نوع جديد إنه تجرأ على غير الانتماء، ومن غير الانتماء يغير أفق الهوية أو يخلعها"[27] وبين "الهناك "الجزائر و" الهنا " تركيا، لم يتبق للبطل سوى مضيق التشظي والانشطار حيث تضع الهويّة أوزارها يقول:"كنت أتأمل البحر على ضفته باخرة عتيقة مهشمة، تأملتها مليا ربما لأنها تشبه قدرنا الذي تهشم"[28] فنشوة الفرار من الوطن تتوقف في أول صعوبة يواجها المهاجر، ليعلم أن معالم التشظي لا تنجلي أو تتبدد بمجرد الانتقال لضفة جديدة، فالأمكنة الجديدة لها ثقافتها وقوانينها وعاداتها التي قد تزيد اللاجئ أو المهاجر تصدعات على مستوى هويته، فأول ما أُمر به البطل في تركيا هو نفي هويته؛ إذا ما أُمسِك من طرف أعوان الأمن والتمسك بعدم البوح عن هويته المغربية بل يجب عليه إقناع الشرطة أنّه سوري لاجئ "علمونا قبل الرحلة في حالة إذا ما أمسَك بنا الأمن التركي أن نقدم أنفسنا كلاجئين سوريين لتفادي إجراءات أمنية غالبا ما تنتهي السجن لأشهر[...] خاصة الأفارقة والجزائريين تحديدا"[29] فسرعان ما تعرض الكاتب ومن صَاحبه من مهاجرين لتعطل بوصلتهم الموجهة لهويتهم وانتمائهم، لتفرض عليهم ظروف المنفى والشتات؛ شراء هوية جديدة والتخلص من هويتهم الحقيقية لأنّها خطر عليهم ينتهي بهم في السجن. وفي زحمة هذه

الانشطارات والتصدعات والتمزقات التي طالت الذات واربَكَتهَا نجد" شعوب تغير هويتها وتلقي بها في البحر، تهريب الهوية تحول إلى مهنة والشعوب تدفع لأن الميت لا هوية له"[30].

رحلة طويلة وعذابات أطول، بداية من بحر ايجة وأزمير، إلى ساموس وأثينا وإيطاليا ومخيم اللآجئين والسجن وأحداث الميناء، والاعتقالات التي تعرضوا لها عَبر مشاهد حية تحمل حكَايا متعددة لنماذج بشرية جمعتهم وحدة الحلم وعذابات الهجرة التي تؤكد "أنّ الموت يفتح ذراعيه لنا، ويعزف لحن النهاية القريبة لهذه المحاولة المخفقة [...] لا أدري لم توقف خوفي فجأة، ربما ليقيني بالموت المؤكد الذي ينتظرنا أم تفاؤل مفاجئ نزل على روحي المتشظية"[31] هي مشاهد إنسانية أراد من خلالها الدفاع عن الحرية والنضال في تحقيق ذات معترف بها ووعي مقاوم يعارض سياسة الحكومات المستبدة، فساعدته هجرته في فضح التجاوزات التي تقوم بها بعض الدول في حق المهاجرين، الفارين من بقايا أوطانهم، الباحثين عن ومضات الأمل فكل قصة في الرواية قناة بَوح؛ بوح عن جراحات الذاكرة والإحساس بالغربة والنفي عن طريق ملامسة هموم الإنسان المهاجر في البلدان العربية والإفريقية.

تتلاشى فرحة الكاتب مع مرور الأيام، وأصبحت ساموس تضيق بأحلامه والمخيم سِجْن يكبتُ أنفاسه فساموس " جزيرة أصغر من تطلعاتي وأحلامي"[32] فالوطن من يَسكنُنا، لا الذي نسْكُنه وقد تجلى هذا المعنى في قول الناقد "عبد الله إبراهيم" يكرس من المنفى شعورا من عدم الانتماء ،فالمنفى ليس مكانا غريبا فحسب، إنما هو مكان يتعذر فيه ممارسة الانتماء، لأنه طارئ ومخربّ [...]ولطالما وقع تعارض بل انفصام بين المنفي والمكان الذي رحل/ ارتحل إليه، وندر أن تكللت محاولات المنفيين بالنجاح في إعادة تشكيل ذواتهم حسب مقتضيات المنفى وشروطه"[33].

إنَّ فظائع الهجرة تؤدي إلى فُقدان المهاجر السُبل السليمة لتأكيد الذات وحمايتها من الوقوع في الارتباك والضياع، بل تُذكره دوما بضرورة الحذر والترقب، وتجبِره العيش دوما في خوف مستمر، فهذا حال "المهاجرين غير الشرعيين يقول الروائي:"أنا حراق في النهاية، ولست سائحا له حرية التجوال"[34] تعتبر أناشيد الملح سيرة مأساة طويلة لمن أراد الحياة والأمل واسترجاع كينونته الضائعة في أوطان مكدسة بالفقر والظلم والبطالة، ومختلف العراقيل التي تقف حائلا أمام إرادة تطوير الذات ونجاحها.

اتخذ الكاتب اللغة مطية لتسجيل ماهية ذاته بانفتاحها/ وانشطارها، وبرسم معالم هويتها وتجاذباتها فأبحر البطل الراوي عبر قوارب المعذبين المشتتين محاولا النجاة في الوصول لأوروبا، وأبحرنا معه عبر القوارب نفسها بخيالنا، الذي استطاع استثارته من خلال المشاهد والوقائع والأماكن التي أثَثَت النص الروائي بواسطة وسائل فنية وتقنيات تعبيرية تمزج بين الواقع/ الخيال، وبين التاريخ/ الموروث الثقافي، فاحتياج الذات المبدعة

للسرد ووصف ما تعيشه وتتعايشه ما هو إلا محاولة تأويل وفهم سِرُّ هذا الوجود، والفصل في استشكالات الماهية والكينونة، فتراهن –الذات– على حمولتها الثقافية لإنتاج نص سردي يُؤسس لبناء هوية ثقافية؛ لأنّ السرد هو المكون الأساسي للهوية. لهذا يتخذ المبدع من الكتابة/الحكي ومن السرد/ الوصف منطقة عبور لا ثبات الذات وهويتها، فيرى"**بول ريكور**" أنَّ "إنتاج شعب ما لنص قصصي يبني ما يعرف بالهوية السردية التي تأخذ من الثقافة وترد إليها عبر اللغة في حدود الجماعة وما حولها"[35] فالذات المبدعة تتخذ من اللغة وسيلة لتسجيل وعيها وثقافتها في فسحة هذا الوجود، لإنتاج نص إبداعي نابع من أفق تخييلي لا متناهي، ومن ذات ثائرة على نفسها وعلى واقع مليء بالاضطرابات المختلفة؛ آفات اجتماعية وإحباطات تاريخية وأوهام إيديولوجية. فالرواية تملك القدرات التخييلية التي تتجاوز بها موضوعية الواقع المعيش والتاريخ الموثق، ويرى الناقد "سيدي محمد بن مالك" أنّ لها دور في تشخيص العلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين وعي قائم يمثل مجموع الأهواء والهواجس، والأفكار والاختيارات، والالتزامات والآمال المخزنة في ذهن الفرد الاجتماعي، ووعي ممكن؛ يكون مضادا ونقيضا للوعي القائم، فيحضر كحلم عابر جميل يراود مُخيِّلة المبدع فيقوم بترجمته والإفصاح عنه في نص إبداعي تخييلي، محاولا إقامة واقع جديد عَامر بقيم وآداب جديدة.

## 2– تمثلات المهاجر/المهمش والآخر/المركز:

تمثّل ثنائية الأنا والآخر، أحد أهم الإشكالات التي حضرت النص السردي الجزائري لارتباطها بالبعد التاريخي الذي يعود إلى المرحلة الكولونيالية، مرحلة الأنا المسْتَعمَرة والآخر المستَعمِر. لذا اهتم المثقف والمبدع الجزائري في توظيف هذه الثنائية، لسياقات تاريخية فُرضت على هذا الشعب كالثورة التحريرية ، وفترة التسعينات( العشرية الدموية).

فشرع الجزائري منذ بداية تفاعله مع غيره على ملاحظة مواطن التناظر والاختلاف بين أناه ذاته / الآخر، وأدب الهجرة نص خصب لكشف هذه التمثلات، فالذات المهاجرة لا تستطيع تحقيق ارتباطاتها الوجودية، ولا بترسيخ الهوية عضويتها بمجرد قرار سياسي، لمنح اللاجئين والمهاجرين حق الانتماء والمواطنة، بل تحقق اعتراف جماهيري وشعبي، والمهاجر إلى أوروبا غالبا ما يواجه صعوبة الاعترافين سواءً أكان سياسيا أو جماهيريا. وهذا ما جعل "**هونيث**" يقوم بربط ثلاث أشكال من الاعتراف" مع ثلاثة أشكال من العلاقة الايجابية بالذات، هي ذاتها موزعة في ثلاثة نطاقات اجتماعية متمايزة. النطاق الأول هو نطاق الحميمية. وفيه يمر الاعتراف عن طريق الحب والصداقة، وهما ما يجعلان "الثقة بالنفس" ممكنة بمعنى الوعي بنوعية جودنا ككائنات ذات رغبات وحاجات. النطاق الثاني يقوم على العلاقات القانونية. وهنا يعتمد الاعتراف على الحقوق المقدمة إلينا والتي تسمح بـ"احترام الذات" بمعنى التأكيد

على قيمة حريتنا. النطاق الأخير يخص مساهمة أنشطتنا الفردية لصالح المجتمع وفي ذلك يحظى الاعتراف بنتيجة هي تقدير الذات"[36] يؤدي وجود خلل معين على مستوى أحد النطاقات التي أقر بها "هونيت" إلى إقصاء/ اعتراف، وتهميش/الذات، ورفض/ الآخر، لهذا واجه الكاتب وباقي المهاجرين صعوبة تحقيق حضور فعلي وفعال في المجتمعات الأوربية، وظل حضورهم **مؤجلا** بعبارات التفكيكي الفرنسي "**جاك دريدا**"، لأنهم لم يحصلوا على قبول سياسي/ جماهيريّ يسمح لهم ببناء فضاء ثقافي تشاركيّ تنصهر فيه جميع الأطياف، في ظل صياغة وعي جديد بالذات وبالآخر لأن "الأيديولوجيات المتعصبة تخلق ذوات سالبة للآخر، نافية لحق الذات المختلفة نفيا يصل حد القتل.وهنا تظهر الخطوة الكبرى لأيديولوجيات عدم الاعتراف بالمختلف.وهذا هو جوهر التعصب والعنصرية"[37] تقوم العلاقة الثنائية بين الآخر/المركز وبين الآخر/المهاجر(المهمش) في النصوص الإبداعية على "تعامل الذات مع من تصطنعه في خيالها حول الآخر، وليس هذا الآخر كما يتبدى في حقيقته الواقعية"[38] لكن في رواية "أناشيد الملح" ومسيرة الحراقة نجد أنّ التعامل مع الآخر كان تعاملا واقعيا صورّ لنا الآخر–على اختلاف جنسيتهم– كما هو عليه في الحقيقته، بعيدا عن الخيال وتخييل الأحداث والشخصيات، وهذا ما يميز هذه الرواية عن أغيارها من الروايات فاعتمد سرد الأحداث على واقع وحوادث عاشها كمهاجر حراق، فنجد أشكالا عديدة للصراع الثقافي والتفاعل الإنساني رغم اختلاف الإيديولوجيات الثقافية والفكرية، فلا يخلو النص من تجاذب /تنافر وإقصاء/اعتراف، سواء في الخطابات أو الذهنيات أو التعاملات.

فالمهاجر في الرواية– عينة الدراسة– هي الأنا [المهمشة]، هي الذات الباحثة عن الوطن اللاجئة إلى أوروبا، لبناء حياة أفضل بعيدا عن الحروب والأزمات بأنواعها، أمّا الآخر [المركز] يتمثل في الأجنبي باختلاف مكانته الاجتماعية، وقد يختلف موقع الخطاب في الرواية، فنجد الأنا المهاجرة / السماسرة أو المهاجر/ الأمن، هي علاقات متداخلة سببها تشابك الأحداث في سرديات الهجرة.

عانت ذات الكاتب من التصدعات التي سببتها سياسة الحكومة الفاسدة في الجزائر وما خلفته من اضطرابات المعيشة، أفرزت ذات متشظية/ مغتربة، مثقفة/مهمشة، قررت المغامرة والهجرة لأجل تشكيل ذاتها "كبرت ووقعت في الفخ، لم أجد وطني الذي عرفته وتعرفت عليه في المدرسة وسمعت عنه في الإذاعة والتلفزيون، لم أجد الأمان والأماني، بل وجدت نفسي في سجن واسع اسمه "وطن" مسيج بالأكاذيب والشعارات الفضفاضة"[39] طغى إحساس عدم الانتماء عليه، وهذا ما دفعه إلى البحث عن سبيل يعينه في الحصول على موقع ثقافي مغاير لذا قرر الهجرة والانفتاح على الآخر في أوطان يسودها العدل والرقي حسب اعتقاده، ففعل الهجرة المتكررة من وطن لآخر، هو الذي أضفى على هذا الأثر

الأدبي زخما كبيرا من الدلالات، التي منحت للقارئ فرصة لقاء الآخر على اختلاف جنسياته، فهو تصوير واقعي للقاء حضاري بين مختلف الشعوب عربية كانت أم أجنبية.

ومن أهم صور التفاعل بين الأنا والآخر في الرواية، هي علاقة "العربي رمضاني" مع المهربين في تركيا والمهاجرين أيضا، إذ تجد الكاتب منذ وصوله لتركيا، رسم خريطة "الحرقة " بحرا إلى اليونان فوجهته كانت أوروبا، وتركيا كانت مجرد حلقة وصل فقط، لهذا نجد أن تعامله مع المهربين كان من أول يوم وصل فيه اسطنبول، للقاء الآخر/ السمسار فهم من يُروجون لشراء الهجرة، والمتاجرة بأرواح المهاجرين، والأنا المغتربة الضائعة تقبل شروط هذه التجارة وتدفع لذلك، لأن" شراء المستقبل من" المهربين" تحول إلى صناعة ثقيلة في الشرق[و] تهريب الهوية تحول إلى مهنة"[40] يستغل السماسرة ظروف المهاجرين الذين قرروا المغامرة ومواجهة أمواج البحر لدخول اليونان، أو مواجهة رصاص حراس الحدود برًا ودخول أوروبا، لتتحول عملية تزوير الهويات واستغلال أموال الضحايا الفارين من أوطانهم قوت عيش المهربين ولذة حياتهم فـ"أي المهربين هؤلاء؟ أي قلوب يملكون؟ لم أتوقف عن شتمهم بأقذع الشتائم الجزائرية الموغلة في الإهانة والتحقير يواصل كلكم أولاد عاهرات، جميعكم أيها السماسرة والمهربون عديمو الإنسانية، الله ينتقم منكم يا أولاد الكلب، الله لا يوفقكم"[41] يدفع المهاجر مالاً لتزوير الهوية والانتقال إلى الضفة الأخرى، في حين خرج من وطنه بهوية مشروعة فرفض المشروع وبحث عن المحظور، لأنّ الغضب واليأس اخترقا ذاته المهزومة الضائعة. صور لنا الكاتب مشادات المهاجرين والمهربين، الذين باعوا إنسانيتهم من أجل المال فنجد العلاقة جد متوترة، لأنّ المهاجر في نظرهم مجرد رقم يحاولون فك شفرته للاستفادة منه. حتى عند انتقال الكاتب إلى اليونان تجد المهربين من جنسيات مختلفة ( الأفغان والجزائريين والمغاربة) فالآخر المهرب هو الذات المهيمنة على منطق الأحداث في الرواية فتشكلت صورة الذات/ السمسار التي بامكانها تشويه ثقافة الارتقاء، لأنّه يقوم بتدمير الهويات والمتاجرة بالأرواح وحَبّك المؤامرات، لهذا كان التعامل معهم بحذر"فلم نخبر المهرب ومعاونه بأننا جزائريون[يقول الكاتب]بل قدمنا أنفسنا كمغاربة لوجود حساسية كبيرة بين الأفغان والجزائريين"[42]

إنَّ إشكالية الأنا /الآخر إشكالية موغلة في القِدم، ونحن بدورنا نستطيع تخطي هذه الخلافات و"حل إشكالية الأنا والآخر حين نرتقي بإنسانية الإنسان فتبنى قيما حضارية أنجزتها الأمم جميعا، مما يؤسس لمد جسور التفاهم بين البشر بعيدا عن الهويات القاتلة، إذ يحدث الانفتاح على العالم الخارجي"[43] فاهتم الكاتب في سرد أهم تفصيل يبعثُ بخيالك لنسج صور المهاجر، ورحلة هجرته التي طبعها طابع

المعاناة والضياع، كعلاقاته وتعاملاته مع الآخر/المهمش كالإفريقي والسوري والعراقي والمغربي والجزائري...الذين تآلفت قلوبهم، فوصف لنا بدقة طريقة مساعدة بعضهم البعض على الفرار، رغم حاجة كل واحد منهم لذلك، يؤكد الكاتب بقوله:"أحببت هؤلاء الشباب، أحببت حماستهم، إصرارهم على النجاح، شجاعتهم، كرمهم،أحببت رعونتهم، جنونهم،غضبهم، شراستهم، أحببتهم بعيوبهم كلها"[44] كما وصف علاقة الجزائريين والتونسيين وما يجمعهم من قرابة "المغربيين والتونسيين كانوا أقرب وجدانا ونفسيا إليهم. وحدة العاطفة لافتة قائمة بين شباب المغرب الكبير في المخيم، تشعر أنهم أبناء بيئة واحدة عن نفسي كنت أميل إليهم فطريا"[45]

يعدُّ اللقاء بين الأنا والآخر في الأعمال الروائية، توظيفا فعالا من طرف الكتاب، وذلك لأجل تحوّل مستويات الخطاب، وربط الأحداث ببعض الشخصيات، لاكتشاف النزعة الإنسانية والحضارية في النص.إذ جمعت الكاتب علاقات وطيدة مع مهاجرين كثر من الجزائر كسيد علي، وليد، موح الصحراوي، زينو، رشيد ..ومع سوريين وعراقيين وأفارقة... أما علاقة الأنا –الكاتب– مع الآخر الإفريقي يتمثل في بعض جمل **بانغو** "يقولmon frère mon frère لا أدري كيف علم بمغادرتنا ربما غريزة الانتماء إلى قارة واحدة شجعته على تقاسم مصيرنا "[46] فإنّ نجاح الاتصال بالآخر وبناء علاقتك معه لا يتطلب تنصيب سِيَاج هَووي خوفا من ضياع حدود الذات التي وضعت من طرف القوى المهيمنه، للتفريق بين الأنا الإفريقية أو الشرقية، أو الأوروبية، وتطبيق برامج استعمارية تفرض القطيعة مع الآخر؛ بل إن الذات" لا تتميز..بدءا من انقطاعها عن الآخر، بل بدءا من علاقتها به، إذ لا تميز خارج هذه العلاقة، والمسألة إذن ليست في انقطاعك عن الآخر، بل في تفاعلك معه، وبقائك أنت أنت"[47] احتك الكاتب بجميع الجنسيات ووصف ما ربطهم من علاقات انتماء ووحدة المصير، ومن جهة أخرى استعرنا الآخر الأروبي من مختلف الجنسيات لكشف تعاملاته مع الذات المهاجرة من خلال جمل ثقافية ومرجعيات فكرية كامنة خلف كل خطاب.

اتخذت علاقة الأنا الساردة مع الآخر الأروبي، في الرواية أشكال عديدة، إذ تجد اختلاف تعامل رجال الأمن، فمنهم من يراعي حقوق اللاجئين ومنهم من ينتهكها بحجة أحقية الأرض وثبوت الهوية والمهاجر لاحق له لأنّه بلا هوية، والأنا في غربتها تتعرض للتصدع والانشطار فتعيش أزمة داخلية تجعلها تحاول التشبث في أي آخر يقبلها ويعترف بها. و"الأنا االبطلة" –حسب توقعها في النص– شخصية تسعى للتغيير ومشاركة الآخر شؤونه الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية...انطلاقا من فكرة

الاختلاف وضرورة اعتناق ثقافته الحضارية فهو"الأصل في يقظة الوعي وتجدد الفكر وتطور الحياة والاختلاف يولد المعنى ويخلق الدلالات ويضفي على الوجود معنى"[48] .

ركز الكاتب سرد تفاصيل تعامله مع الآخر، وتعامل الآخر معه، ففي مركز الشرطة في محاولاته الأولى للهروب، كثير ما تأفف من سيطرة الشرطة على الشواطئ وتوغلها بين الطبقات الشعبية بزيها المدني لكشف المهاجرين وإعادتهم إلى أوطانهم. فوصف تعامل الدرك معه:"كان الدركيّ،صاحب العينين الزرقاوتين الحادَّتين، يحاول بلهجتة العنيفة أن يجد رأس الخيط الذي يدله على المهرب...أذكر أن ذلك الدّركي المنفعل، كان مركزا عليّ بشكل استفزني كثيرا [ف]حاول تعنيفي ورفع نبرة صوته معي وهو يصر على البحث بيننا عن المهرب".[49]

عانى الكاتب فشل محاولاته المتكررة للخروج من تركيا إذ وقع مرات عديدة في قبضة حرس الحدود أو الدرك التركي، فتتصادم أحلام الهجرة والفرار إلى أوروبا مع مصالح الدول السياسية والاقتصادية لأنّ "التهريب في تركيا سواء كان برا أو بحرا ،منظومة قائمة بذاتها لها مافيتها المتجذرة منذ عقود في عمق المجتمع التركي، تجني أرباحاً طائلة من المهاجرين"[50] كما صرح الكاتب بالتجاوزات التي حدثت في حقّ المهاجرين الذين يفرض عليهم دفع مبالغ طائلة بالعملة الصعبة للركوب في زوارق الموت، أو المبيت في الفنادق أو حتى ركوب سيارة أجرة "والأتراك بدورهم يقومون بإنشاء مراكز لجوء، لا تقدم أدنى خدمة مجرد محتشدات غير إنسانية كل من يصلها يسجل في قوائم ترسل بروكسل التي تكافىء الأتراك على كل فرد دخل تلك المراكز"[51] إنَّ المتاجرة بمآسي وأموال، وأحلام، وحياة المهاجرين واللاجئين، هي التي تُرّبك علاقة المهاجر بالآخر، فيحدث ذلك التصادم العنيف، الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى رفض سيطرة وسلطة الآخر، الذي يجب عليه الاهتمام والاعتراف بعامة الناس، بحياتهم، وفكرهم، وعملهم على المستوى الفردي وإبرازه للوجود لأنّ"العلاقة بين فلسفة التنوع وبين الآخر علاقة تقوم على الاحترام المتبادل والاعتراف بحقوق الآخر كاملة بلا غمطٍ أو تجنّي"[52] فهذا السلوك العدواني –التجنّي وغيره– المتسم بالقهر والقسوة ضد المهاجرين، أفرز ضدية المهاجر/المهمش، والآخر/المركز، ثنائية ارتسمت معالمها أكثر في المخيمات التي تهتم بشؤون اللاجئين، حيث يتعرض المهاجر لابتزاز رجال الأمن له فيصفه "بالمركز الموحش القاسي الذي يختزل حجم الفساد والامتهان والتلاعب بمصائر الناس والربح من ورائهم وتساءلتُ: كم من مهاجر تعرض للمصير نفسه؟ وكم من أموال أُخذت منهم إلى جيوب رجال الأمن الفاسدين؟ إنّه وجه آخر لتركيا يناقض الصورة النمطية التي يُروِّج بعض الإعلام العربي"[53]والوضع لا يختلف

عند هجرته لليونان، إذ تلقى نفس السلوكيات من طرفهم، فكل مخيمات اللجوء عبارة عن سجون والمهاجرين في نظر الآخر الأوروبي هو كثافة سكانية قد تغير نظام حياته، والأمن وأجهزته هم الذين يتحكمون في مصير المهاجرين، فالقضية سياسية يدفع ثمنها راكب البحر أو المغامر عن طريق البر إذ أن "الكلمة النهائية للأمن... ولا سُلطة للمفوضية السامية لشؤون اللاجئين التي تبقى شاهد زور جُلّ مهامها توفير الإطعام والمبيت للمهاجرين .قرار منع اللجوء جزء كبير منه يعود لمصالح الأمن".[54] أراد الكاتب فضح العديد من الأنظمة والحكومات من خلال ما تقوم به من تجاوزات في حق المهاجرين الفارين من الحرب والظلم والجوع، يبحثون عن وطن تُعيد الذات المنشطرة لملمة شتاتها فيه. وأناشيد الملح هي قناة بَوح تكشِف معاناة الرُوح وارتباك الذات وجراح الذاكرة؛ وفضح سياسة تعامل هذا الآخر الذي يَدّعي التفتح والتطور فهي بمثابة محاكمة أخلاقية للانتهازيين. فكل "اعتراف بحق الذات، بحق الآخر مهما كان هذا الآخر. ونشأة فكرة الحق اجتماعيا، واكتسابها معنى أخلاقيا، هي التي مَكّنت البشر من العيش المشترك، وهي التي تقف وراء العنف والنزاعات والحروب "[55]

شكل موضوع الهجرة، واللقاء الحضاري مع الغرب في عينة دراستنا تمثلات الشخصية المهاجرة وعلاقتها بالآخر الذي توفرت لديه أسباب التفوق الحضاري، فتحاول هذه الأنا انتشال نفسها من محيطها القديم إلى الفضاء الأوروبي المغري الذي يفرض على المهاجر الوقوع في فخ التعايش والأزمات المتعلقة بالذات.

**الخاتمة**

تعدُّ قضايا الهجرة والنفي من أشد التجارب قسوة ومرارة سقط في فخها الإنسان عبر امتداد تاريخه الإنساني والثقافي، فسعينا عبر مدونتنا المختارة –أناشيد الملح– للعربي رمضاني إلى:

- كشف تمثلات الهجرة ومكابدة المهاجرين شتاتهم في مختلف الأوطان، ومحاولتهم إعادة تشكيل ذات جديدة في ظل متلازمة الاعتراف/ الإقصاء.
- معاينة تجلي ظاهرة الهجرة التي التقطتها الرواية الجزائرية المعاصرة، التي حاولت من خلالها التصدي لصراع الهويات وانشطارها، والفصل بين جدلية الأنا /الآخر وصراعهما الثقافي .
- ضرورة سرديات الهجرة لمحاكاة تفاصيل اليومي المعيش وأحداثه الطارئة، بإعادة تفعيلها ضمن نسق تخييلي، حاملة معها عطب وتشوهات الواقع، محتفية بصور الهامش، ونقل أصوات المهمشين/المهاجرين لتعبر عن قضايا المجتمع.
- شكلت تجربة الهجرة بكل إشكالاتها وأوجاعها خطابا مهيمنا في النصوص الأدبية خلال القرن العشرين.

•تصوير أزمات وإشكالات الانتماء والتشظي، ومعاناة الوقوف على تخوم الجغرافيات لملامسة الهم الإنساني اليومي للمهاجرين.

•تحويل الهجرة من ظاهرة سوسيولوجية وسياسية، إلى قناة بوح ونضال مستمر، يسعى المبدع من خلالها تغيير الأوضاع وتحسينها، بدفع الأساليب الإبداعية إلى حيز المعيشة ومعطيات الحياة.

**هوامش:**

[1]- صوافي بوعلام: محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، 2016، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران1/ الجزائر، ص61.

[2]- إدريس خضراوي: سرديات الأمة تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، 2017، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص186.

[3]- طارق بوحالة: "تمثيلات المهاجر في الرواية الجزائرية المعاصرة"، ضمن الموقع الالكتروني: https://thakafamag.com/?p=4508/23:00/10/11/2020.

[4]- خالد طحطح: البيوغرافيا والتاريخ، 2014،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/ المغرب، ص 49.

[5]- العربي رمضاني: كاتب جزائري من مواليد 1986، بسيدي نعمان في المدية، خريج الصحافة سنة 2008، يكتب مقالات في السياسة والثقافة، وكتابه "أناشيد الملح – سيرة حراگ- هو أول إصداراته.

[6]-العربي رمضاني: أناشيد الملح سيرة "سيرة حراگ"، 2019، منشورات المتوسط، ايطاليا، ص 74.

[7]- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي، 2014، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب، ص 34.

[8]-العربي رمضاني: أناشيد الملح، ص11.

[9]- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، ص55.

[10]- العربي رمضاني: أناشيد الملح، ص11.

[11]-المصدر نفسه، ص12.

[12]- المصدر نفسه، ص12.

[13]- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، ص65-57.

[14]- سمية المحفوظي: المهاجرون إلى الله/ الهجرة وهشاشة قيم الثقافة الغربية المعاصرة، مجلة يتفكرون، ع 11، ص 93.

[15]- العربي رمضاني: أناشيد الملح، ص14.

[16]- المصدر نفسه، ص16.

[17]- المصدر نفسه، ص16.

[18]– المصدر نفسه، ص17.

[19]– أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات،ص57.

[20]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص14.

[21]– المصدر نفسه، ص20.

[22]– المصدر نفسه، ص203.

[23]– ادوارد سعيد: تأملات في المنفى، 2004، دار الآداب، بيروت، ص208.

[24]– المصدر نفسه،ص322.

[25]– فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، 2016، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ص200.

[26]– لونيس بن علي:إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية. 2018، دار ميم للنشر، الجزائر ص243.

[27]– فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، ص203.

[28]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص26.

[29]– المصدر نفسه، ص24.

[30]– فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، ص201.

[31]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص 38.

[32]– المصدر نفسه، ص115.

[33]– عبد الله ابراهيم: السرد، الاعتراف والهوية،2001، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، ص04.

[34]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص168.

[35]– بول ريكور: الزمان والسرد–الزمن المروي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس،ص371.

[36]– كاترين آلبيرن: الهوية والهويات–الفرد،الزمرة،المجتمع، 2017، دار الفرقد، دمشق/سورية،ص73.

[37]– أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات،ص86.

[38]– محمد شوقي الزين، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، 2012، منشورات ضفاف،بيروت/لبنان،ص90.

[39]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص42.

[40]– فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، ص201.

[41]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص40.

[42]– المصدر نفسه،ص215.

[43]– ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، 2013، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص 23.

[44]– العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص154.

[45]- المصدر نفسه،ص133.

[46]- المصدر نفسه،ص42.

[47]- أدونيس موسقى، الموت الأزرق(الهوية، الكتابة، العنف،2002، دار الآداب، بيروت، ص288.

[48]- غيطان السيد علي: سؤال الاختلاف الفلسفي-رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر-،2017،النشر الجامعي تلمسان /الجزائر،ص17.

[49]- العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص25.

[50]- المصدر نفسه،ص56.

[51]- المصدر نفسه،ص64.

[52]-غيطان السيد علي: سؤال الاختلاف الفلسفي-رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر-، 2017،النشر الجامعي تلمسان /الجزائر،ص135.

[53]- العربي رمضاني: أناشيد الملح،ص66.

[54]- المصدر نفسه،ص129.

[55] -. أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات،ص87.

## قائمة المصادر والمراجع

1- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي، 2014، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ المغرب.

2- ادريس خضراوي: سرديات الأمة تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، 2017، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

3- ادوارد سعيد: تأملات في المنفى، 2004، دار الآداب، بيروت.

4- أدونيس موسقى، الموت الازرق(الهوية، الكتابة، العنف،2002، دار الآداب، بيروت.

5- بول ريكور: الزمان والسرد-الزمن المروي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس.

6- خالد طحطح: البيوغرافيا و التاريخ، 2014،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/ المغرب.

7- عبد الله ابراهيم: السرد، الاعتراف والهوية،2001، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان.

8- العربي رمضاني: أناشيد الملح سيرة "سيرة حراگ"، 2019، منشورات المتوسط، ايطاليا.

9- غيطان السيد علي: سؤال الاختلاف الفلسفي-رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر-2017،النشر الجامعي تلمسان /الجزائر.

10- فتحي المسكيني: الهجرة إلى الإنسانية، 2016، كلمة للنشر والتوزيع، تونس.

11- كاترين آلبيرن: الهوية والهويات-الفرد،الزمرة،المجتمع، 2017، دار الفرقد، دمشق/سورية.

12- لونيس بن علي:إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية. 2018، دار ميم للنشر، الجزائر .

13- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، 2013، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.

14- حمد شوقي الزين، الذات و الآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، 2012، منشورات ضفاف،بيروت/لبنان.

**المجلات**

1- سمية المحفوظي: المهاجرون إلى الله/ الهجرة وهشاشة قيم الثقافة الغربية المعاصرة، مجلة يتفكرون، ع 11.

**الرسائل**

2- صوافي بوعلام: محددات الأنا و الآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، 2016، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران1/ الجزائر.